مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــــ المجلد: 14 / العـدد:01 (ماي 2026) ص 366– 390
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

المجال والتنمية الفلاحية بمنطقة توات في الجنوب الجزائري

Environmental and Agricultural Development in the Touat Region in the south of Algeria

د. سعدون مراد
saadoun mourad
جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)، saadoun.mourad@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام: 2025/04/19	تاريخ القبول: 2026/05/11	تاريخ النشر: 2026/05/31

الملخص:

تم التطرق في هذه الدراسة إلى وصف المجال الواحاتي التواتي بخصائصه الطبيعية والمناخية ،و قد صنف من أقدم الواحات الجزائرية قدما وحضورا وتاريخا وحضارة، وهذا من خلال التطرق للفلاحة التقليدية و وأساليبها. وبعدها ذكرنا الإهتمامات المحلية بالتنمية و أدواتها وسبل تحقيقها بالنظر للمقومات الفلاحية التي تزخر بها المنطقة للوصول للتنمية الفلاحية المستدامة.

كل هذه المقومات سمحت بتحويل الفلاحة من نمط الفلاحية التقليدية في البساتين المجاورة التي كانت ترتكز على نمط الفقارة،إلى فلاحة تصديرية نحو مختلف الولايات، و بذلك استطاع من خلالها الفلاح تحسين المستوى المعيشي وتحقيق الأمن الغذائي.

كلمات مفتاحية: المجال، التنمية، الفلاحة، منطقة توات، الجنوب الجزائري.

Abstract

This study describes the Touat oasis region, highlighting its natural and climatic characteristics. It is considered as one of the oldest oases in Algeria, renowned for its antiquity, historical significance, and cultural richness. This is demonstrated through an examination of traditional agriculture and its methods. Secondly,it examines the local development priorities, tools, and strategies for achieving sustainable agricultural development, taking into consideration the region's abundant agricultural resources.

These resources have enabled a shift from traditional farming practices in the surrounding orchards, which relied on the foggara irrigation system, to export-oriented agriculture serving various provinces. This transformation has allowed farmers to improve their living standards and achieve food security.

Keywords: Environment , Development, Agriculture, Touat Region, the south of Algeria.

المؤلف المرسل: د.سعدون مراد ، **الإيميل:** saadounmourad16@gmail.com

مقدمة: تعتبر توات إحدى المناطق الرئيسية التي تمتلك إمكانيات ومؤهلات بارزة في مجال الفلاحة الصحراوية الواعدة، مما يمكنها من تحقيق تقدم ملحوظ في مسار التنمية. تمثل الزراعة مصدراً اقتصادياً مهماً لدى معظم سكان القرى في توات،وقد شهدت المنطقة مؤخراً تطوراً ملحوظاً من خلال استراتيجيات تنموية تهدف إلى تعزيز القطاع الفلاحي وزيادة إنتاجيته. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المقومات التقليدية المميزة في المنطقة، وكذلك استكشاف الاستراتيجيات الجديدة التي ساهمت في تحويل نمط الزراعة من التقليدي إلى أساليب فلاحية مستدامة في توات.

فما هي ملامح الزراعة التقليدية في توات وكيف يمكن تحسينها محلياً؟

للإجابة على هذا السؤال، اعتمدنا على الفرضيتين التاليتين:

- تفاعل سكان توات مع بيئتهم من خلال الواحات التقليدية التي قاموا بإنشائها.
- استراتيجيات دعم وتعزيز التنمية المحلية من أجل تطوير القطاع الفلاحي في المنطقة.

علاوة على ذلك، تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تستند إلى أبحاث ميدانية واقعية، مما يجعلها قاعدة لدراسات مستقبلية أعمق قد تفتح آفاقاً جديدة لاستكشاف جوانب أخرى من مجتمعنا.

1. المجال والتنمية:

أ- **المجال** ترتبط فكرة "المجال" بعدد من المفاهيم،وقد اكتسبت معانٍ متعددة، مما يجعلها مفهومًا يتغير مع الزمن. فهو بيئة طبيعية وعش بيئي، ثم يصبح قاعدة أساس محايدة، ثم نتيجة اجتماعية. إن المجال ملموس ومرتبط بالواقع، إذ يمثل بنية أساسية للنظام الاجتماعي،وهو مساحة مهيكلة ومنظمة (عمربالهادي، المجال والتنمية، 2012، صفحة 1)

تستدعي عملية التنمية ضرورة القبول بخصوصيات كل مجال (مثل الإقليم أو الدولة أو التجمعات المجالية) مما يمنحه طابعًا فريدًا ومميزًا، وهذا لا يتعارض مع مفهوم التنوع. إذ نجد أن لكل مجال سمتًا خاصًا، كما يمكن القول. على سبيل المثال، يتعين وجود الصناعة، لكن نوعها وتركيبتها تختلف من مجال إلى آخر، وكذلك الأمر بالنسبة للزراعة والنقل والسياحة... (عمربالهادي، المجال والتنمية، 2012، صفحة 9) .

أ-1- الفلاحة الواحاتية التقليدية بمنطقة توات:

الخصوصية الطبيعية والمناخية لمنطقة توات:

تمتد منطقة توات في جنوب غرب الصحراء الجزائرية،وهي جزء من الصحراء الكبرى في إفريقيا، حيث تبعد عن العاصمة الجزائر بحوالي 1500 كيلومتر. تضم أكثر من 350 واحة ومدينتين وقصر، مما يجعلها تشبه أرخبيلًا متناثرًا على رمال الصحراء،إذ تغطي هذه الواحات مساحة تصل إلى ألفي ميل مربع.

حاليًا، تشمل المنطقة أدرار، تيميمون، وعين صالح، حيث كانت تُعرف الأولى بمنطقة توات، والثانية بمنطقة قورارة، والثالثة بمنطقة تيديكلت، وقد أطلق بعض الكتاب القدماء على هذه المناطق الثلاث مجتمعة اسم "إقليم توات" (مقدم مبروك، 2008، صفحة 11) .

يقع الإقليم بين خطي طول 1 درجة شرقا، و 3 درجات غربا وبين دائرتي عرض 20 إلى 30 درجة شمالا. ولم يطلق اسم أدرار على الإقليم إلا مع دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة خلال مطلع القرن 20 م. إذ ظهرت ولاية أدرار بعد التقسيم الإداري لعام 1974م تبلغ مساحتها 427.968 كلم مربع وتضم 11 دائرة و 28 بلدية وهي بهذا تعتبر أكبر ولايات الوطن مساحة. (حوتيةمحمد، 2007، صفحة 08)

يسود في المناطق الصحراوية، وخاصة في توات، مناخ صحراوي قاري جاف،يتميز بارتفاع معدل التبخر مقارنةً بمعدل التساقط. كما يتميز هذا المناخ بخصائص قاسية تجعل التكيف معه أمرًا صعبًا سواء للبشر أو للنباتات. ترجع هذه المميزات إلى تفاعل عناصر المناخ مثل الحرارة، والتساقط، والرطوبة الجوية، التي تتأثر بعوامل مناخية عامة مثل الإشعاع الشمسي والرياح، وكذلك بعوامل محلية مثل طبيعة التربة، ودرجات الحرارة، وقلة الغطاء النباتي. بينما تتمتع الواحات بمناخ محلي (Microclimate) حيث تنخفض درجات الحرارة نسبيًا بفضل نسيم البساتين الرطب.

يسود في المناخ الصحراوي ارتفاع عام في درجات الحرارة، حيث تختلف هذه الدرجات من منطقة لأخرى، ومن شهر لآخر، وحتى بين ساعات الليل والنهار. خلال فصل الصيف، تصل درجات الحرارة إلى مستويات مرتفعة، حيث يبلغ المتوسط الأقصى نحو 37 درجة مئوية، بينما تنخفض إلى المتوسط الأدنى الذي يصل إلى 12 درجة مئوية في فصل الشتاء.

تعتبر الرياح العامل الأهم في المناطق الصحراوية، حيث تتميز بالاستمرارية والشدة، فضلاً عن غياب العوائق التي تعيق حركتها. تثير هذه الرياح الرمال والأتربة المتناثرة، مما يؤدي إلى ظهور زوابع رملية تؤثر سلبًا على

النباتات. تسود في منطقة توات والأراضي المجاورة رياح قوية، تشمل الرياح الشمالية والشرقية، بالإضافة إلى الرياح الجنوبية والجنوبية الغربية.تُعرف الرياح الأخيرة بـ "رياح السير"،حيث تهب من الصحراء الكبرى في إفريقيا، وتتميز بجفافها وحرارتها،وتحمل كميات من الأتربة، مما يسبب أضرارًا جسيمة للمحاصيل الزراعية، ويعزز بشكل فعّال عمليات التصحر.

. لمكافحة هذه الظواهر،تم استخدام تقنية مصدات الرياح المصنوعة من جريد النخيل (افراق). تعتمد هذه الطريقة على إجراء تقييم سنوي وفقًا لحجم تراكمات الرمال،وتوضع على قمم العروق القريبة من المباني والمنازل،كما هو الحال في العرق المتواجد في الجانب الشمالي من قصر تيلولين وقصر سالي ومناطق أخرى. (محمدعبدالكريم، 2016، صفحة 23)

أ-2-الديناميات المجالية في واحات توات:

تعتبر الواحة بيئة تتميز بتوفير الراحة النفسية والجسدية للإنسان في ظروف قاسية وصعبة، وهو تعريفها اللغوي. أما من الناحية الاصطلاحية، فإن الواحة تعرف بأنها منطقة حيوية توجد في بيئة صحراوية حول مصادر مائية، وتحتوي على أراضي خصبة في مناطق جافة.وبالتالي، تُعتبر الواحة ثمرة للعبقرية البشرية في الصحراء، حيث تمثل نتيجة لخطط مدروسة تهدف إلى تنظيم المجال الصحراوي للحد من التصحر،من خلال إنشاء مناطق بيئية متوازنة.

تعد منطقة تو ات من أكبر الواحات الصحراوية في الجزائر،ولها تاريخ حضاري عميق وثراء ثقافي، حيث تتواجد فيها سلالات متعددة.و تضم العديد من المكتبات والمخازن التي تحتفظ بعشرات الآلاف من المخطوطات والمصنفات، كما أنها موطن لمئات الآلاف من أنواع النخيل والنباتات. (أحمد بالصافي جعفري، 2011، ص5). تقع منطقة توات في الجنوب الغربي للجزائر،وهي جزء من الصحراء الكبرى الأفريقية، وتبعد حوالي 1500 كيلومتر عن الجزائر العاصمة. يشمل هذه المنطقة مجموعة من الواحات والمدن والقصور،حيث تتجاوز عدد الواحات المتواجدة في رمال الصحراء الثلاثمائة والخمسين، وكأنها أرخبيل في بحر من الرمال، وتغطي مساحة تقارب ألفي ميل مربع. يمتد الإقليم بين خطي عرض 3.82 درجة شمالاً وخطي طول 4 غرباً إلى 1 شرقاً،مما يعكس حسن الامتداد الطبيعي لمنطقة تنزروفت باتجاه الشمال. حاليًا يُعتبر هذا الإقليم جزءًا من أدرار، وتيميمون،وعين صالح، حيث كانت تُعرف الأولى بمنطقة توات، والثانية بقورارة، والثالثة بتيديكلت.وقد أطلق المؤرخون القدماء على هذه المناطق الثلاث مجتمعة اسم "إقليم توات. (مقدم مبروك، 2008، صفحة 11)



الصورة رقم (01) تمثل خريطة لإقليم توات

أ-3 – مكونات النظام الواحاتي:

يتكون هذا النظام من أربعة عناصر أساسية: المياه، والنخيل، والمساكن، والإنسان. تشكل هذه العناصر الأربعة الإطار العام للبيئة الصحراوية. وغالبًا ما لا يرتبط ظهور الواحات بوجود مصادر مائية، بل تُعتبر نقطة التقاء للعلاقات الاجتماعية وليس مجرد نظام زراعي. لذلك، يمكن فهم الواحة على أنها منطقة للتبادل التجاري وفضاء اجتماعي واقتصادي. يرتكز المجال الواحاتي على تداخل الماء، والمساكن، والنخيل، ومما لا شك فيه أن الإنسان يلعب دورًا محوريًا كمحرك اجتماعي ومُنظم لهذا المجال.

يشمل النظام الواحاتي العناصر التالية:

أولًا: المياه، حيث تلعب دورًا حيويًا في تشكيل الواحات المتعددة، فوجود مصدر مائي، سواء كان سطحيًا أو جوفيًا، يعد ضروريًا. يتم استغلال هذه المياه بطرق متنوعة تعتمد على الموقع والوسائل المتبعة ومصدر المياه، بما في ذلك الارتباط المباشر بالنباتات الخضراء (النخيل). من بين هذه الطرق نجد الآبار الارتوازية، الطبقات السطحية، ونظام الفقارة، المعروف بشكل خاص في واحات توات والذي يُعد من أبرز المعالم التاريخية في منطقة أدرار. لقد نالت الفقارة شهرة عالمية جراء قدمها واستمراريتها حتى العصر الحالي، حيث تذكرنا بعجائب العالم السبع مثل أهرامات مصر وحدائق بابل المعلقة.

تتركب الفقارة من سلسلة من الآبار المتصلة عبر قنوات تحت الأرض، تبدأ عادةً من منطقة مرتفعة وتندفع نحو المنحدر لجلب المياه من الأعلى إلى الأسفل، مع فتحات للتهوية والصيانة. وهذا هو ما يجذب زوار المنطقة،

خاصة عند مشاهدتها من الجو، حيث تبدو كأنها تلٌ من الطين، إذ تبعد الآبار عن بعضها الآخر بحوالي 10 أمتار (مرزايةبلامةعائشة، 2006، صفحة 6)

تتكون الفقارة من:

1 -البئر الرئيسي :يُعتبر هذا البئر الرائد في رأس الفقارة، حيث يتميز بعمق أكبر من الآبار الأخرى، مما يمنحه قدرة دفع قوية .

-2**آبار الأشغال** :تستخدم هذه الآبار لأغراض تنفيذ الأعمال المرتبطة بالخدمات والصيانة .

-3**الساقية الأولية (أغيسروا** :(هي النقطة التي تستقبل المياه القادمة من النفق، حيث تُوجه إلى القسرية لتوزيعها لاحقاً في مداخل البساتين .

-4**القسرية** :تُعدّ محطة تقليدية لقياس مستوى مياه الفقارة وتوزيعها على المعنيين (الملاكين)، وتقع في أسفل الفقارة ومدخل البساتين (عرب15صفحة 42)

ب- النخيل :ينمو النخيل في المناطق الجافة وشبه الجافة، حيث يسود مناخ يحتوي على كميات قليلة من الأمطار وصيف طويل ودرجة رطوبة منخفضة. تفضل أشجار النخيل درجات حرارة تتراوح بين 24 إلى 34 درجة مئوية، وقد تكيفت مع هذه الظروف الصعبة، بما في ذلك التربة المالحة والخشنة .

أ-4- المجال المبني :هو نسيج عمراني متماسك ومترابط، يتراوح من العام إلى الخاص، حيث تتأثر خصائصه بعادات وتقاليد السكان (مثل الحصول على الضوء الطبيعي والخصوصية والجوار). كما تلعب الاختلافات العرقية والأديان بين المكونات الاجتماعية المختلفة دورًا أساسيًا في تشكيل المجتمعات والأحياء. يتسم هذا المجال بالتنظيم والتكامل وفقًا لمبادئ معينة، كما يتميز بألوان تتناغم مع البيئة، ويمتد بشكل أفقي بشكل يتماشى مع المحيط، وله رابط مباشر بالمجال الأخضر (النخيل).

ب-القصور عمران الصحراء:

إن الحديث عن عمران الصراء يثير نوع من العجب والاستغراب كون الصحراء كما بين سابقا . هي مجال القفار والخلاء وعيش الترحال لا استقرار، وبالتالي هذا خرق لناموس مقدس وهو ناموس الترحال، فالإقامة الدائمة والبناء يتطلب تقديم طقس استرضائي للتفكير عن هتك المقدس بالإقامة (استبدال الترحال بالإقامة) (ثياقة الصديق، 2013-2014، صفحة 47)

تشكل منطقة توات مجموعة من الواحات والقصور تزيد عن ثلاثمائة وخمسين واحة تقع حاليا ضمن نطاق ولاية ادرار جنوب غرب الصحراء الجزائرية بمساحة تقدر بـ: 450000 كلم، وهي التسمية التي ارتبطت بهذا الإقليم منذ

الدخول الفرنسي إلى المنطقة سنة 1900م (هرباش راجية، 2011-2012، صفحة 3) ، تنتشر هذه التجمعات السكنية العمرانية المعروفة بالقصور، في هضاب وصحراء الجزائر، يعود أقدمها إلى القرن الرابع الميلادي، استمرار ازدهار هذه القصور كان مرتبط بالتجارة حتى لسنوات مضت حيث يلاحظ تدهور ها نتيجة هجرة السكان منها. (الصديق ثياقة، 2013-2014، صفحة 49)

لقد بنيت هذه المدن والقصور في الأصل لنزول أفراد القبيلة الواحدة مما جعلها تشكل وحدة إدارية مستقلة يحيط بها سور خارجي غالبا ما يكون محاطا بخندق يساهم في الدفاع عن هذه القصور وحمايتها من الاعتداءات الخارجية ولقد ورد ذكر مثل هذه الخنادق ، فالقصور والمدن التواتية المتجاورة تشكل وحدة إدارية أكبر تعرف بالمقاطعة يشرف عليها شيخ المقاطعة الذي كان يختار أكبر القصور وأهمها كمركزا له يمارس فيه سلطته السياسية والإدارية،ولقد بلغ مجموع المقاطعات في منطقة توات 28 مقاطعة موزعة على المناطق الثلاث توات بـ 10 مقاطعات، قورارة بـ 12 مقاطعة، وتيديكلت بـ 06 مقاطعات، تضم كل واحدة منها مجموعة من القصور تختلف في عددها من منطقة إلى أخرى والتي لا تتجاوز في البعض منها قصرا واحد كما هو الشأن في قصور تيط التي تضم فقط قصبة الشرفاء، لم تكن تلك القصور متباعدة عن بعضها إلا بمسافة قصيرة لا تتجاوز 30 كلم على الأكثر متعايشة فيما بينها ولم تقم بينها حوربا إلا في سنة 1256 هـ/ 1848 م فجل صراعاتها كانت مع جيرانها من قبائل الغنانمةوالشعانبة. (هرباش راجية، 2011-2012، صفحة 5)

لم تبن هذه المدن والقصور نتيجة لرغبات شخصية، بل وجدت وازدهرت هذه المدن والقصور لضرورات حضارية آنذاك "أنشأت هذه القصور من طرف الهجرات الزناتية ثم قبائل الرحل التي كانت تعتمد على طرق تنقل منتظمة ما بين عمق الصحراء ومدن الساحل والتي بدورها ساهمت في ازدهار وتطور المدن الصحراوية، فرحلت الشتاء إلي عمق الصحراء وراء المناخ الملائم والمراعي كان يعمل علي جلب المؤونة ولاستعداد للرحيل المعاكس للشمال بعد الرعي الجيد للماشية مع مطلع الصيف، هذا التنقل كان يستدعي تواجد محطات راحة وتمويل، محطات للتبادل التجاري أيضا، وكان ذلك تفسير ازدهار القصور الصحراوية." (الصديق ثياقة، 2013-2014، صفحة 49)

ج -الواحات مكون أساسي في التنظيم المجالي بتوات:

يمثل القطاع التقليدي في المنطقة مجموعة من الواحات التي تمتد بمحاذاة القصور،منتشرة بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب فوق شبكة الطرق الوطنية. من اللافت للنظر أن هناك علاقة وثيقة بين القصور والواحات، حيث لا توجد واحة دون وجود قصر،ولا قصر من دون واحة.

تعتبر الواحات التقليدية ذات قيمة عائلية، موزعة على أراض صغيرة (الجنانات) تتميز بإنتاج زراعي يتركز أساساً على محصول التمور، إلى جانب بعض المحاصيل الأخرى. تعتمد هذه البساتين قرب القصور، كما أن كل واحة غالباً ما تحمل اسم القصر المرتبط بها.

تنقسم الواحات في هذا القطاع الزراعي التقليدي إلى قسمين: المسقية والبورية، حيث يتميز الجزء المسقي بانتشاره على مساحات واسعة حول الينابيع. يتم ري المزروعات والنخيل بواسطة مياه الفقاقير أو الآبار. من المهم أن نلاحظ أن مساحة الواحات المسقية تتقلص بشكل مستمر بسبب سببين رئيسيين:

الأول هو انخفاض منسوب مياه الفقاقير،التي تعتبر المصدر الرئيسي لمياه الري. الثاني هو تراكم الرمال حول الواحات نتيجة الزوابع الرملية، حيث يسبب هذا الوضع مشاكل في نظام الري المعتمد (الغمر) ويؤدي إلى تدهور التربة، مما يجعلها غير صالحة للإنتاج بسبب وجود كميات كبيرة من الرمل، بالإضافة إلى ذلك، هناك عوامل اجتماعية واقتصادية تؤثر على هذا القطاع، حيث شهد النشاط الاقتصادي تحولاً كبيراً نحو التخلي عن الزراعة والتوجه نحو القطاعات الأخرى الأكثر ربحية والأقل مجهوداً، مما أثر على عزوف اليد العاملة المحلية عن العمل في المجال الزراعي (الحراثين).كما أن ظاهرة التحضر التي شهدتها المنطقة أدت إلى توسع العمران على حساب أراضي الواحات.

بينما تتمركز الأراضي القاحلة في منطقة النخيل في مساحات فارغة، يتجلى ذلك عندما تفتقر مصادر المياه وتغزو الرمال منطقة النخيل، مما يعيق إمكانية استغلال هذه الأراضي وصيانة أشجار النخيل. وبهذا، تنشأ أزمة التصحر في الواحة بفعل الكثبان الرملية، مما يؤدي إلى تركها مهجورة وتحويلها إلى أراضٍ قاحلة.

يشمل المجتمع الواحاتي في توات مساحة إجمالية تبلغ 243479.05 هكتار تغطي مجموع واحات قصورها البالغ عددها 145، حيث تكون كل واحة متاخمة لكل قصر، وعادة ما تقع في الجهة الغربية، محصورة بين القصر من الشمال والسبخة من الغرب. ترسم التركيبة المكونة من (قصر – واحة – سبخة) المعالم الفريدة للشبكة العمرانية في توات. تختلف هذه الواحات في حجمها استنادًا لتوزيع السكان في كل قصر، حيث تمتد مساحة الاستغلال في المنطقة لتصل إلى 9512 هكتار، مما يمثل حوالي 41.02% من المساحة الزراعية، بينما تصل النسبة المتبقية (66%) إلى الأراضي القاحلة. (عرب15صفحة)

يمتاز الاستغلال في الواحات بالمساحات الضيقة حيث يتم تقسيمها إلى قطع وفقًا للملكية العرفية للأراضي الزراعية في القطاع التقليدي أو البساتين،التي تعرضت للتقسيم والتجزئة،مما أسفر عن تحويلها إلى ملكيات صغيرة

بعد وفاة المالك وقسمة الأرض بين الورثة.كما تُحدد حدود كل بستان بواسطة حدود طينية من التربة وكذا بفواصل مصنوعة من أوراق النخيل (أفراق). (محمدعبدالكريم، 2016، الصفحات 115-118)

د- الفقارة- عبقرية الإنسان الواحي ونموذج للمعرفة المحلية:

تتميز منطقة توات جنوب الجزائر دون سواها من بقية مناطق الجزائر خصوصا بنظام الفقارة، الذي هو عبارة عن سلسلة من الآبار المائية المتصلة بعضها ببعض في طريقة تصاعدية عجيبة وطريقة توزيع للمياه أعجب، وهو نظام قديم جدا تعددت الرويات في أصلة ومصدره واتفقت على شيوعه وانتشاره في أكثر من عشرين منطقة من ربوع العالم. غير أن ما يميز المنطقة التواتية في نظامها المائي هو توارثة عبر الأجيال منذ قرون وإلى الآن مع المحافظة على كثير من مقوماته وأسس بناءه، بالإضافة إلى أنه ساهم وبشكل كبير في توازنات السكان وانتشاره داخل الإقليم ومن ثم الإستقرار والعيش إلى الآن وزسط ظروف طبيعية (أحمد أبا الصافي جعفري، 2011، صفحة 610) جد قاسية، كما كان لهذا النظام أيضا الأثر البرز في غرس روح العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع تبعا لقدرة كل فرد، ومدى حضوره ونجاعته في أعمال الحفر والصيانة السنوية التي يعرفها النظام، إضافة إلى ما يصحب كل ذلك من قيم ومثل تضامنية عليا، هذا دون أن ننسى أثر كل ذلك على كافة التحولات الاجتماعية والمجالية التي عرفها ويعرفها الإقليم. (أحمد أبا الصافي جعفري، 2011، صفحة 611)

د-1-نظام الفقارة ومبدأ التعاون الجماعي:

ويظهر هذا جليا منذ خروج الإنسان الأول للمشاركة في عملية الحفر التي وإن إقتصرت على فئة محددة من الناس إلا أننا نلمس اتحاد وتعاونا واضحا داخل هذه المجموعة ويتجلى ذلك في تقسيم أفراد المجموعة إلى مجموعات صغيرة (تكون غالبا من أربعة أشخاص فما فوق) اثنان في اسفل البئر واثنان في أعلاه ويكون بينهم التنسيق، هذا في عملية البدء أما في عملية الصيانة وإبعاد الفقارة عن الأخطار المحدقة بها من رمال وسقوط للجدران وغير ذلك فإن الإعلان بداية يكون علنيا وعاما وفوق سطوح المساجد ليصل النداء للجميع وأثناء الصيانة المعروفة محليا بتويزة نلاحظ روحا تضامنية قوية بين الافراد وسط اصوات الدف والزمار بهدف التنشيط مع ملاحظة أن هذه العملية أن تمت يشارك فيها الجميع غالبا حتى من غير المالكين للفقارة لأنه لافرق هنا بين من يملك نصيبا في الفقارة ومن لا يملك، إذ أن العمل التطوعي (التويزة) إلزامي على كل القاطنين حينما يتعلق الأمر بخطر (أحمد أبا الصافي جعفري، 2011، صفحة 618) يهدد الفقارة والجدير هنا أيضا أن عملية المشاركة والتعاون الجماعي يشارك فيها الجميع بدأ بعملية جمع العتاد مرورا بتحضير الطعام والشراب أو المشاركة في رقصة التويزة ووصولا إلى النشاط الرئيسي في العملية وهو العمل على إنقاذ الفقارة.

د-2-نظام الفقارة ومبدأ العدالة والمساواة بين الأفراد:

ويتجلى هذا أولا في عملية امتلاك وتوزيع المياه على الأفراد حيث يتم ذلك تبعا لجهود وعرق كل إنسان ومقدرته على العمل مع افراد المجموعة وثانيا وفق معايير حسابية دقيقة تمطنه من استغلال أقل القليل من

ثروته المائية بدء من أعلى بئر ووصولا إلى بستانه ، بل إن الإنسان المالك في الفقارة يحقق فائدته في أي عمل يلحق العملية حتى دون عمل وهذا ضمن نصيبه في ما يعرف بحق الطريق في عملية (العطية) وهي تسليم عمل الفقارة للمجموعة من الناس وفق شروط اساسية عامة غالبا (جزء للعاملين وجزء للفقارة).وفي كل الأحوال يظل الفرد داخل مجموعة أفراد الفقارة محافظا على كل حقوقة تبعا لواجباته أولا وقبل كل شيء. (أحمد أبا الصافي جعفري، 2011، صفحة 619)

د-3- الفقارة ونظام التنشئة الاجتماعية:

لقد احتلت الفقارة مكانة مرموقة داخل المجتمع التواتي ووصلت أحيانا إلى حد القداسة، وبهدف المحافظة على هذه المكانة عمد المجتمع إلى تنشئة النشء على حب واحترام الفقارة منذ نعومة الأظافر. حيث حرموا عليه العبث بنظام توزيع مياهها ورمي الأوساخ فيها واستعانوا في ذلك بالزواجر الدينية أحيانا وبالعادات والتقاليد أحيانا أخرى.

ولقد ارتبطت الفقارة أيضا في حياة المجتمع التواتي بمعظم العادات والتقاليد المعروفة فإذا حل إنسان بقصر ماء جيء له بماء الفقارة ليعاود المجيء إلى القصر لأنه عندهم من شرب ماء فقارة عاد إليها ولو بعد حين، وإذا خرجت العروس من عشها الزوجي توجهت أولا إلى الساقية وتخطت عليها ثلاثا كرمز للثبات والتشبث بالأرض وبعد ذلك تغرف منها ما تشربه في وقتها أملا في الإستقرار والطمأنينة، وما تسقي بيه جمع البنات حولها أملا في زوج المستقبل.والصبي كذلك حين يحفظ القرآن الكريم ويشرع في مراسيم احتفاليه المعهود يتوجه صوب الساقية أيضا ليشرب (أحمد أبا الصافي جعفري، 2011، صفحة 620) ويتخطى هو الآخر. وفي حال وفاة شخص ما داخل القصر فأن جميع ملابسه تخرج إلى الساقية علنا لتغسل وتنشر هناك، وأخيرا فانه وفي يوم عاشوراء من كل سنة يتوجه حمع النسوة إلى السواقي ليملأن منها الجرة ومن ثم التوجه بها غلى القبور في محاولة لبعث روح الحياة من جديد في جسد الميت كما يقال ويعتقد.

ضبط الماء وتوزيعه:

عملية تقسيم المياه في إقيم توات لا تكتمل إلا إذا توفرت الشروط المادية للفقارة والمتمثلة في الفقارة (الحبة)، والحلافة التي تتم بواسطتها القسمة لكن ذلك لا يتأتى إلا بتوفر الجانب البشري الذي يشرف على التقسيم الفعلي للماء، والذي يمثله شخص كيال الماء وهو خبير في شؤون القياس يعرف كميات المياه، وله دراية تامة بكافة الخطوط والثقوب الموجودة في الحلافة أو الشقفة وإليه تعود عملية توزيع المياه بمساعدة أرباب الفقارة أو مالكيها، وقد يستعين بمحاسب أو مراقب يردد بصوت مرتفع ماذكره من قيمة المياه وبشهود يشرفون على عملية القياس ويشهدون على صحتها. (إبراهيم حامد لمين، 2016، صفحة 13)

تعتبر مياه الفقارة في إقليم توات ملكا جماعيا يتم تقسيمه بواسطة القلد بطريقة عادلة حسب قانون الحصص الذي تنظمه آلة الحلافة أو الشقفة أو السيارة أو القسامة وفق نوازل الغنية وهي عبارة عن صحيفة نحاسية بها

ثقوب مختلفة الأحجام منها الكبيرة والصغيرة والمتوسطة، تعرف بالكيل الأصفر وباسم القلد أيضا كما ورد في مختصر خليل والمعيار وفي نوازل مغنية.

الحلاقة هي وسيلة مهمة لحساب المياه بصورة عملية لها شكلا دائريا كما في تيديكلت أو مستطيلا كما في توات وستبقى بهذه المنطقة لأنها جزء من تراثها، تشمل هذه الألة على ثقوب تعرف حسب عرف المنطقة بالنقض وهو يتكون من 8 أعواد والعود يساوي 24 قراطا، والقراط بدوره يساوي 24 فلسا. (هرباش راجية، 2011–2012، صفحة 141)

وإليكم نبذة حول كيفية توزيع المياه : بعد خروج الفقارة من الأبار وسيلانها فوق الأرض طبعا يشترك في مياهها جميع أو جل أهل القرية وتوزع على حسب الملكية من القلد المعروف بالقصرية وهي حجارة هكذا:

وآلة الكيل تسمى بالسقفة والحلاقة تصنع من النحاس مدورة وقد تكون مستقيمة وهي ذات ثقوب.

ونوافذ في كل كبيرة حبة وفي القبة الصغيرة قيراط أو أكثر وأجراء الفقارة تسمى بالحبة فيها وبالماجن والعود والثمن وحسب عرف كل جهة جهة من المنطقة والحبة فيها عدد أربع وعشرون (24) قيراط في كل قيراط أربع وعشرون (24) وفي كل قيراط أربعة وعشرون جزءا وآلة الكيل فيها شق دقيق هو لسان الميزان إذا وصله الماء بعد فتح ثقبة وسد فيها أكثر من حبة الزريق فحبة المعبود هي الحبة المهوبة وحبة الزريق هي الحقيقة. (محمد باي بلعالم، 2005، صفحة 72)

تخضع الفقارة لنظام صارم في الإدراة والتسيير، حيث تملك كل فقارة سجلا يسمى عرفاب: (الجريدة) أو (الزمام) تكون فيه حيازات الأفراد ولا يمكن إحداث تغيير في هذا السجل بدون إظهار عقود البيع الموقعة من قبل البائع وشاهدين معرفين، ويعهد حفظ هذا السجل إلى أمام القرية في الغالب ، والذي يسمى (الشاهد) ويمكن للشاهد الواحد أن يتولى سجل أكثر من فقارة.

تتم صيانة الفقارة بصفة دورية مرة كل سنة أو سنتين بحسب الحاجة لذلك، وعلى حسب حالة الفقارة إن كانت جيدة أو قديمة، وتتم وفق خطوات دقيقة لخطورتها وعمق آبارها وترتكز أعمال الصيانة على مايلي:

إخراج الأتربة من الفقارة والقيام بتنظيفها. (إبراهيم حامد لمين، 2016، صفحة 13)

التخلص من الراوسب الكلسية لأن المياه تحتوي على أملاح كلسية تتراكم على جدران آبارها الداخلية بمدار الأيام.إصلاح الإنهيارات بالنسبة للتربة بصورة استعجالية لأنها توقف مجرى الفقارة.

وفي العادة تتم أعمال صيانة الفقارة في فصل الصيف قبل بدأ موسم الحرث، وتتم صيانة الفقارة بواسطة مجموعة من الوسائل مثل الحبال، وكانت قديما من ألياف النخيل والجرارة (البكرة) والمجرفة، والفؤوس، والقفاف، والمعول، ويعتمد في إنارة النفاذات على الشموع والكانكي. (إبراهيم حامد لمين، 2016، صفحة 14)

ولاشك "ان العلاقة بين الكائن و الصحراء علاقة مميزة وخاصة ، فالصحراء تحفر صفاتها من قسوة وإرادة صلبة وتقشف في سكنها، وهذه جملة صفات لابد لمن يعيش في الصحراء التحلي بها، فالجدب وفقر الموارد

يجابه بالتقشف والزهد بوسائل الرفاه، والمناخ القاسي يقتضي إرادة قوية تكافح دائما من اجل استمرار العيش". (الصديق ثياقة، 2013-2014، صفحة 31)

ج -الزراعة التقليدية في منطقة توات:

تعتمد منطقة توات في نشاطها الاقتصادي على الزراعة والتجارة، حيث تعتبر المحاصيل الزراعية حجر الزاوية للتبادل التجاري منذ العهد الأول في القرن الرابع الهجري، حين بدأت زراعة البساتين والجنات وفقًا لرواية البكري. إلا أن صعوبة الظروف المناخية السائدة في المنطقة، المعروفة بجفافها وقلة أمطارها، بالإضافة إلى ارتفاع قنوات الري عبر المواجل أو في قنوات السقي، وكذلك طبيعة تربتها الرملية الخفيفة والمالحة، يمكن فهمها من خلال وصف نسيم النحفات، الذي قال: "... توات منطقة تحتوي على سباخ وغالبية رمال، ولا يحيط بها جبال أو أشجار، ويكون المناخ شديد الحرارة، مما يجعل الحياة فيها صعبة، وتقتصر الزراعة على النخيل وبعض الأشجار القليلة لارتفاع درجات الحرارة..."،مما يعرض تلك المناطق للزوابع الرملية التي تؤثر سلبًا على الأراضي المزروعة، ولكن يمتلك أصحاب البساتين وسيلة لمواجهة هذا التحدي من خلال بناء سياجات مصنوعة من سعف النخيل تُعرف بالأفراك. (هرباش راجية، 2011-2012، صفحة 180)

تمكن سكان المنطقة، بالرغم من التحديات الكثيرة، من التغلب على العديد من الصعوبات وخلقوا وسط بيئتهم الصحراوية زراعة ناجحة إلى حد ما، مما يدل على قدرتهم وصبرهم الدائم وتكيفهم مع الظروف الجافة. رغم أن الإنتاج قد يكون ضئيلاً ولا يكفي أحيانًا لتلبية احتياجاتهم الخاصة، إلا أنهم أوجدوا الواحات وحفروا الآبار وزرعوا المحاصيل الزراعية بفضل نظام الري المعروف بـ"الفقارة"،الذي يعد العنصر الأساسي في ري الأراضي وتزويد السكان بالمياه. وفقًا لإحصائيات عام 1945، تحتوي الولاية على حوالي تسعمائة "900" فقارة يستفيد منها الجميع، سواء كانوا مالكين أو سكان عاديين؛ حيث يستخدم الملاك الفقارة لأغراض زراعية بينما يستفيد الآخرون منها للاستخدام الشخصي مثل الشرب والتنظيف.

بسبب أهمية هذا المورد،لا يزال سكان الولاية يعتمدون على الفقارة، مما يفسر انتشار هذا النظام في جميع القصور. تلعب الفقارة دورًا كبيرًا في زيادة الإنتاج، حيث كلما ارتفع منسوب المياه فيها، زادت المساحات التي يمكن ريها وبالتالي زاد الإنتاج. وفي المقابل، كلما انخفض منسوب المياه، تقلصت المساحة المسقاة مما أدى إلى تراجع الإنتاج. ومع ذلك، تشهد الفقارة في الفترة الأخيرة انخفاضاً في منسوب مياهها نتيجة ضعف صيانتها،حيث لا تزال تُصان بالأساليب التقليدية،مما أدى إلى تراجع الإنتاج،خصوصاً إنتاج النخيل. (اسماءابلالي، 2013-2012، صفحة 41)



الصورة رقم (02) توضح أساليب الفلاحة التقليدية بمنطقة توات

د-طرق استغلال الأرض في الواحة بتوات:

تعددت أساليب استغلال الأراضي الزراعية في منطقة توات، وتميزت بين الأساليب المباشرة وغير المباشرة. وإذا استرجعنا التقسيمات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع الواحات القديم، نجد أن الأفراد قد تم تصنيفهم وفقًا لوظائفهم الاجتماعية.وقد نتج عن ذلك بروز تأثير مالكي الأراضي الفلاحية،حيث كان يمتلك الأراضي (الشرفاء والمرابطون) بينما كانت اليد العاملة تتألف من الفلاحين.فيما يلي نلقي الضوء على أساليب استغلال أراضي الواحة في منطقة توات على وجه الخصوص وفي واحات أدرار بوجه عام.

أ- الاستغلال المباشر: حيث يقوم المزارع بالاعتماد على نفسه في استصلاح أرضه كما يستعين بمساعدة أفراد عائلته. ويلاحظ أيضاً أن للمرأة دوراً مهماً في الأنشطة اليومية،حيث تشارك في أعمال متعددة مثل رعاية الماشية والحصاد والدرس وغيرها.

ب- بالخماسة: في هذه الطريقة، يتخلى صاحب الأرض عن إدارتها لمزارع آخر، يتولى القيام بجميع الأعمال الزراعية والحفاظ على المزرعة، وفي المقابل يحصل على نسبة (5/1) من المحصول، فيما يعود الباقي لصاحب الأرض.

ج- بالخراسة: تعد هذه الصيغة أكثر تفضيلًا مقارنة بالخماسة، إذ يحق للخراس الحصول على حوالي نصف المحصول مقابل خدمته في الأرض أو مقابل مبلغ مالي يدفع له من قبل مالك الأرض.

ويعتبر الاستغلال عبر الخماسة والخراسة الأكثر شيوعًا في المنطقة منذ العصور القديمة، في حين لوحظ انحصار هذه الأساليب في واحات توات، إن لم يكن انعدامها.وكانت هذه الطرق تمثل أساليب استغلال غير مباشر

تُحقق الفائدة لجميع شرائح المجتمع التواتي المعروف تاريخياً،بما في ذلك الشرفاء، المرابطون،الأحرار، والفلاحون. (محمدعبدالكريم، 2016، صفحة 119)

هـ-التسلسل الزمني للفلاحة في توات

تُعد منطقة توات الواقعة في جنوب الجزائر، من أهم المناطق الصحراوية التي عرفت نشاطًا فلاحيًا قديمًا، رغم قساوة الظروف الطبيعية المتمثلة في المناخ الصحراوي وندرة المياه. وقد مرّ النشاط الفلاحي في هذه المنطقة بعدة مراحل تاريخية عكست تطور تقنيات استغلال الموارد المائية وتنظيم الإنتاج الزراعي.

-المرحلة القديمة

تشير الدراسات التاريخية إلى أن الفلاحة في توات ظهرت منذ عصور مبكرة بفضل وجود المياه الجوفية والواحات الطبيعية. وقد اعتمد السكان على زراعة النخيل وبعض المحاصيل المعيشية مثل الحبوب والخضروات، حيث شكلت الواحة الإطار البيئي الملائم لممارسة النشاط الزراعي في وسط الصحراء. كما ساهم موقع المنطقة على طرق التجارة الصحراوية في استقرار السكان وتطور النشاط الزراعي. (عبد الرحمان الجيلالي، 1994، صفحة 214)

- مرحلة تطور نظام الفقارات

شهدت هذه المرحلة تطورًا كبيرًا في الفلاحة بظهور نظام الفقارات، وهو نظام تقليدي لنقل المياه الجوفية عبر قنوات تحت الأرض نحو الواحات. وقد سمح هذا النظام بتوسيع المساحات الزراعية وتنظيم عملية توزيع المياه بين الفلاحين وفق أعراف اجتماعية دقيقة. كما أصبحت زراعة التمور النشاط الزراعي الرئيسي، إلى جانب زراعة الحبوب والخضروات تحت ظلال النخيل في نظام زراعي متعدد الطبقات.

- مرحلة الاستعمار الفرنسي 1830-1962

خلال الفترة الاستعمارية خضعت مناطق الجنوب الجزائري إلى دراسات جغرافية واقتصادية هدفت إلى فهم طبيعة الواحات ونظم الري التقليدية. ورغم بعض المحاولات لإدخال تقنيات حديثة، بقيت الفلاحة في توات تعتمد أساسًا على نظام الفقارات والزراعة الواحية التقليدية، خاصة زراعة النخيل التي شكلت العمود الفقري للاقتصاد المحلي.

- **مرحلة ما بعد الاستقلال 1962–1980**

بعد الاستقلال أولت الدولة الجزائرية اهتمامًا خاصًا بتنمية المناطق الصحراوية، حيث تم إدخال تقنيات حديثة مثل حفر الآبار العميقة واستخدام المضخات الميكانيكية بدل الاعتماد الكلي على الفقارات. كما تم إطلاق برامج لدعم الفلاحين وتوسيع المساحات المزروعة بالنخيل وتحسين الإنتاج الزراعي. (محمد الصغير بن يوسف، 2001، صفحة 65)

- **مرحلة الإصلاحات الفلاحية 1980–2000**

عرفت هذه المرحلة توسعًا في مشاريع استصلاح الأراضي الزراعية في الجنوب، مع إدخال وسائل ري حديثة وتطوير الاستثمار الفلاحي. كما شهدت المنطقة تنوعًا في الإنتاج الزراعي ليشمل الحبوب والخضروات إلى جانب التمور، مما ساهم في تعزيز الأمن الغذائي المحلي.

- **المرحلة المعاصرة**

في العقود الأخيرة تطورت الفلاحة في توات بشكل ملحوظ بفضل اعتماد التقنيات الحديثة مثل الري بالتقطير والري المحوري، إضافة إلى دعم الدولة للمستثمرات الفلاحية في الجنوب. كما تم تحسين إنتاج التمور وتثمينها اقتصاديًا، خاصة الأصناف ذات الجودة العالية مثل دقلة نور التي تعد من أهم المنتجات الزراعية في المنطقة (وزارة الفلاحة والتنمية الريفية، 2018، صفحة 52)

II- التنمية المحلية:

قبل الخوض في الإطار المفاهيمي للتنمية المحلية، نود الإشارة إلى مجموعة من العوامل التي ساهمت في نشوء وتطور هذا المفهوم من جوانبه النظرية والعملية، والتي سنستعرضها فيما يلي:

1-عوامل الاهتمام بالتنمية المحلية:

إن دوافع الاهتمام بالتنمية المحلية لم تنشأ فقط نتيجة التغيرات التنظيمية التي أدت إلى تبني النظام اللامركزي والتقسيم الجغرافي لأقاليم الدولة الواحدة، بل تعود أساسًا إلى بروز النظريات والمفاهيم التي سعت إلى معالجة قضية التخلف،خاصة بعد الحرب العالمية الثانية. فقد تجلى هذا الاهتمام في ضرورة البحث والتفكير في كيفية معالجة

الفجوات التنموية بين الدول ومحاربة الفقر وإعادة إعمار الدول المتضررة من آثار الاستعمار في العديد من المناطق. (أحمدمخلوف و عمرمرزوقي، 2018، صفحة 513) .

تسعى الجهود إلى تقليص الفجوات بين المناطق الريفية والحضرية، وتتفرع هذه الدوافع إلى عدة جوانب:

- **عوامل فكرية وسياسية وثقافية:** تتمثل في زيادة وعي السكان نتيجة الانفتاح والتفاعل مع وسائل الإعلام والتواصل الجماهيري، مما أدى إلى إدراك الجماهير لحقوقها ومطالبها في إطار من العدالة والتوزيع.
- **عوامل عملية:** تشمل جوانب اقتصادية وإدارية واجتماعية وبيئية رئيسية، مثل:
  - الهجرة الداخلية أو ما يعرف بالنزوح الريفي، وما يتبعها من آثار سلبية كالاكتظاظ في المدن، وارتفاع معدلات البطالة، وهجرة الأراضي الزراعية، وزيادة الطلب على الخدمات العامة في المناطق الحضرية.
  - الأهمية القصوى للاستفادة من الموارد والثروات المحلية وتوجيهها لصالح التنمية الوطنية الشاملة.
  - ضرورة تعزيز المشاركة الشعبية من خلال تفعيل دور السكان المحليين في جهود التنمية، سواء في مراحل التخطيط أو التنفيذ.

الاتجاه نحو اللامركزية واللامركزية الإدارية كاستراتيجيتين إداريتين يمكن أن تساهم في تقديم الخدمات العامة بسرعة وكفاءة.

- أهمية الحفاظ على الأمن الداخلي الذي يتضمن ويعزز الأمن الوطني الشامل. (أحمدمخلوف و عمرمرزوقي، 2018، صفحة 514)

2- تعريف التنمية المحلية:

تعني المحلية المجال الجغرافي الأقرب إلى السكان أو الإطار الجغرافي الأصغر الذي تعيش فيه مجموعة من الأفراد. ويمكن أن يشير هذا الإطار الجغرافي إلى الوحدات الإدارية الناتجة عن التقسيم الإداري (مثل الجماعات المحلية، الدوائر، المقاطعات، والبلديات)، كما يمكن أن يتكون من المجال المعيشي المرتبط بالهوية الجماعية للأفراد، مثل القبيلة أو العشيرة.

يعتبر المجال المحلي كفضاء جغرافي قائمًا على عدة عناصر رئيسية:

- العنصر الجغرافي، ويشير إلى أي منطقة أو مدينة محددة جغرافيًا بواسطة جبال أو وديان وغير ذلك.

- عنصر الهوية أو الانتماء، الذي قد يتناقض مع الواقع الجغرافي.
- وجود مجال (فضاء) ملائم يشمل مجموعة من العناصر المتكاملة.
- عنصر إداري يعتمد على تقسيم إداري تحدده الدول والحكومات. (أحمدمخلوف و عمرمرزوقي، 2018، صفحة 515)

أ-تعريف المجتمع المحلي:

يمكن تعريف المجتمع المحلي بأنه مجموعة من الأفراد الذين يقيمون في منطقة جغرافية معينة، حيث يرتبط هؤلاء الأفراد بمصالح اقتصادية واجتماعية مشتركة. تختلف هذه المصالح في مجالات متعددة، وذلك في ظل وجود أنظمة اجتماعية، وعادات، وتقاليد، وروابط، وقيم اجتماعية، مما يساهم في تعزيز شعور الانتماء لديهم إلى مجتمعهم .

من الناحية الجغرافية، يُعتبر المجتمع المحلي منطقة جغرافية محددة تضم مجموعة من الأشخاص الذين يعملون معًا لتحقيق تطلعات وأهداف مشتركة، من خلال تفاعل اجتماعي مستمر يتم في إطار أنظمة اجتماعية أساسية مثل النظام العائلي، التعليمي، الديني، والاقتصادي.

ب- تعريف التنمية المحلية:

في نظر علماء الاجتماع، تُعتبر التنمية المحلية استراتيجية تهدف إلى تعزيز تنمية المجتمع بطريقة تضمن زيادة قدرات وإمكانات أفراده، من خلال مشاركة فعّالة داخل المجتمع خلال جميع مراحل العمل. يرى آخرون أن التنمية المحلية هي عملية مجتمعية تتطلب إرادة ووعي إداري موجه لتحقيق التنمية بأسلوب حضاري يحافظ على قدرات المجتمع، ويعتمد على إحداث تحولات هيكلية ضمن قاعدة إنتاجية ذاتية لتحقيق نمو مستدام مع مراعاة آليات التغيير وضمان استمراريته للأجيال المستقبلية، من خلال خطط حقيقية تسعى لتحقيق الرفاهية والتحسين المستمر للمجتمع المحلي في جميع جوانب الحياة. تركز التنمية البشرية أيضاً على تحسين البيئة الاجتماعية التي يشارك فيها الأفراد، ويعتبرها العديد من الناس عملية توافق أو تدخل اجتماعي تُعبر عن مستوى المعيشة .

تركز هذه النظرية على مساهمات المهنيين والأفراد من أجل تعزيز التضامن داخل المجتمع، وتحفيز المواطنين نحو تحقيق الاعتماد على الذات، بالإضافة إلى تشجيع القادة المحليين على تحمل المسؤولية ودعم المنظمات في المجتمع. (أحمدمخلوف و عمرمرزوقي، 2018، صفحة 517)

ج- أدوات التنمية المحلية:

1- التخطيط المكاني أو الإقليمي، الذي يحدد الاتجاهات الرئيسية وينظم إطار التنمية في المناطق.

2- سياسة اللامركزية المدعومة بلواءات لهيئات الدولة.

3- الحوكمة المحلية التي تعكس تفاعلات متعددة بين الفاعلين في المجتمع المحلي (القطاع العام، القطاع الخاص، والمجتمع المدني)، والموجهة نحو تحديد أهداف مشتركة ومشاريع ملموسة لتنمية المجتمعات المحلية.
4- مشاركة المواطنين الذين يتم تمثيلهم في هياكل الحوكمة المحلية.
5- التمويل من خلال الإيرادات الوطنية والمحلية والدعم الخارجي. (أحمدمخلوف و عمرمرزوقي، 2018، صفحة 519)

د - السبل الجديدة للتنمية المحلية:

لا تنحصر الهيكلة الاقتصادية للأقاليم الصحراوية فقط في مجالات الزراعة، بالرغم من الديناميكيات الحقيقية للنمو وإعادة الهيكلة التي تشهدها هذه المناطق. لقد أسفر تطور الأنشطة الصناعية والخدمية منذ فترة الاستقلال عن بروز طرق جديدة محتملة لتعزيز الاقتصاد. فتباين الثروات في الدول الواقعة على هوامش الصحراء يُعزى في الوقت نفسه إلى اختلاف سياسات التنمية التي تنتهجها الحكومات من جهة، وإلى الاستقلالية الاقتصادية والسياسية من جهة أخرى.

في هذا السياق، تشير دراسة حالة أجراها مصطفى نور أياح حول جيبوتي، التي تعود إلى فترة الاستعمار الفرنسي، إلى "ندرة الموارد" في هذا البلد الذي ينتمي إلى النطاق الجيوسياسي للقرن الإفريقي. حيث تم فرض مشروع التعديل الهيكلي والخصخصة، مما فتح المجال للاستثمارات الإماراتية في البنى التحتية الكبرى للنقل.

على الرغم من هذه الاستثمارات العربية، يبرز الكاتب هشاشة الاقتصاد في هذه المنطقة، التي تشترك مع غيرها من المناطق الصحراوية في معاناة الفقر والبؤس. وهذا المثال الجيبوتي يطرح تساؤلات حول قدرة الأقاليم على تنويع اقتصاداتها من أجل ضمان التنمية المحلية وتقليل تبعيتها. ولذلك، يصبح من الضروري التفكير في مصير السياحة الصحراوية، التي تُعتبر واحدة من الركائز الأساسية للتنمية المحلية، من خلال تقديم عدة حلول فعّالة، حيث تساهم هذه الأنشطة السياحية في استغلال الموارد الطبيعية والعمالة المحلية. وعليه، يتناول كل من كليمونتين تيبري وسارج أورمو عوامل الاستدامة ويطرحان العديد من التساؤلات المهمة.

يمكن دراسة الديناميات الطبيعية والبشرية التي تجعل من الصحراء نظامًا حيًا يتسم بالتناقضات، إلا أنه أيضًا يعكس هشاشة التوازنات الاقتصادية والثقافية تحت ضغط العصر الحديث. تم تسليط الضوء على جميع الجوانب التي تربط بين النزاعات والتحديات والرهانات والملاحظات، حيث تُعتبر هذه المجتمعات المنفتحة بمثابة بيئات ملائمة للتغيير.يشير أندري لارسوتو إلى أن المساهمات تقع ضمن إطار مقاربة معقدة تتناول العلاقة بين التوازنات غير المستقرة والمؤقتة، والضغوطات الناتجة عن التناقضات في هذا الفضاء الواسع المتأثر بالعصرنة والعولمة. لقد

اختار المؤلف التوافق والإجماع كوسيلة للتقدم في التنمية المحلية،كما يتساءل عن مصير التحضر الاصطناعي والمعاصر مع التنبيه إلى دور السياحة الجماهيرية التي يمكن أن تُفضي إلى آثار سلبية على الثقافات الصحراوية والمحلية. (بائيل، عابدجليد، و صوريةمولوجي)

2- **مقومات القطاع الفلاحي في منطقة توات:**

تمتاز منطقة توات بموارد وإمكانات فلاحية هائلة قادرة على تلبية احتياجات السكان من المنتجات الغذائية وخلق فرص العمل. يمكن تلخيص هذه الإمكانيات في النقاط التالية:

- **الموارد الطبيعية:** تحتوي منطقة توات على مساحات زراعية شاسعة، حيث تصل المساحة الزراعية الإجمالية في ولاية أدرار إلى حوالي 584318 هكتار حتى منتصف عام 2020، بعد أن كانت محصورة في الواحات والبساتين. جاءت هذه النقلة بفضل سياسة استصلاح الأراضي الزراعية التي تم اعتمادها منذ الاستقلال، وبالأخص تلك الموجهة لصالح ولايات الجنوب بهدف تحقيق الأمن الغذائي. ساهمت البرامج المختلفة المنفذة في هذا المجال في استغلال 54612 هكتار من المساحة الزراعية الإجمالية، منها 47223 هكتار مساحات مسقية، ساهمت هذه الآليات في تعزيز النشاط الزراعي في المنطقة، حيث تم إنشاء 34459 مشروعًا زراعيًا عبر مختلف أقاليم الولاية، وتوزعت هذه المشاريع كالتالي:

- **مشاريع تقليدية:** 22671 مشروعًا بمساحة 230054 هكتار.
- مشاريع ضمن نظام الامتياز الزراعي: 5954 مشروعًا بمساحة 170009 هكتار. (بلقاسم، يبا، و عبودميلود، 2012، صفحة 143)
- **مشاريع في إطار حيازة الملكية العقارية الزراعية:** 5829 مشروعًا بمساحة 113791 هكتار.
- محطات تجارب ومزارع نموذجية: 04 مشاريع بمساحة 866 هكتار.

فيما يتعلق بالموارد المائية والكهرباء، يُعتبر الماء العنصر الأساسي لاستغلال الأراضي الزراعية. وبالنظر إلى طبيعة المنطقة الصحراوية وما تمتاز به من قلة الأمطار، فإن مصادر المياه تأتي من الآبار العميقة والعادية وأيضًا الفقارات. دعماً للقدرات الإنتاجية الزراعية، قامت المصالح الفلاحية في ولاية أدرار بحفر أكثر من 495 بئر عميق بقدرة تدفق تبلغ نحو 19800 لتر في الثانية، بالإضافة إلى أكثر من 14350 بئر عادي، مع تعزيز نظام الفقارات المائية من خلال الترميم والصيانة، حيث بلغ عددها 706 فقارة وفق إحصائيات سنة 2020.

كما تم شق أكثر من 98 كم من المسالك الزراعية وربط المناطق الزراعية بشبكة الكهرباء التي أصبحت عنصرًا مهمًا في دعم الإنتاج الزراعي، وذلك بمسافة تصل إلى 196 كم، بالإضافة إلى تجهيز 43 بئر عميق. (بلقاسم، يبا، و عبودميلود، 2012، صفحة 144)

4-سبل دعم التنمية المستدامة بالمناطق الصحراوية:

لا شك أن تحقيق التنمية المتكاملة يعتبر من أبرز الأهداف لدى الدول والمجتمعات، إذ يُعد المفتاح الأساسي للتقدم الحضاري والنمو الاقتصادي والاجتماعي. ومع ذلك، فإن التنمية المتكاملة لا تكتمل إذا لم تأخذ بعين الاعتبار الجوانب والالتزامات البيئية في استراتيجياتها وخططها العملية.

وبالنسبة للجزائر، مثل غيرها من الدول، فإنها تبذل جهودًا كبيرة لتحقيق التوازن بين ضرورة النمو الاقتصادي ومتطلبات حماية البيئة والحد من التلوث، وذلك في إطار مفهوم التنمية المستدامة، كما أن التنمية الإقليمية تُعتبر العنصر الجوهري في عملية التنمية المتكاملة، ويجب أن تأخذ بعين الاعتبار الأسس والاعتبارات البيئية التي ينبغي تجسيدها، خصوصًا في المناطق الصحراوية. وسنستعرض في ما يلي أهم الأسس والاعتبارات البيئية التي يجب مراعاتها لإقامة تنمية فعالة في المناطق الصحراوية الجزائرية.

أ- دعم استدامة الفلاحة الصحراوية:

أعطت الجزائر أهمية قصوى لتعزيز التنمية المحلية والزراعية عبر جميع أنحاء البلاد، لا سيما في مناطق الهضاب العليا والسهوب والأقاليم الصحراوية. ويتجلى ذلك بوضوح من خلال العديد من الاستراتيجيات والبرامج الزراعية التي تم إعدادها، وأبرزها: البرنامج الوطني للتنمية الزراعية الذي بدأ تنفيذه في عام 2000،إضافة إلى برنامج التنمية الزراعية والريفية الذي انطلق في عام 2003. تهدف هذه الاستراتيجيات مجتمعة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تحسين أوضاع السكان في المناطق الريفية والصحراوية عبر تنويع الأنشطة الزراعية والرعوية كوسيلة أساسية لزيادة دخل الأسر الريفية والصحراوية.

- تسريع عمليات التحديث والتطوير في القطاع الزراعي من خلال دعم الاستثمارات الإنتاجية وتبني التقنيات الحديثة في مجال الزراعة.

- المسعى نحو تحقيق الأمن الغذائي، خصوصاً في المواد الغذائية ذات الاستهلاك الواسع.

– حماية التنوع البيئي في المناطق الريفية والصحراوية.

– المحافظة على البيئة وتعزيز استدامة الزراعة في السهوب والصحراء.

وقد أدت هذه البرامج الزراعية إلى تطوير الأنشطة الفلاحية في عدد من المناطق السهبية والصحراوية، بفضل الدعم المتنوع الذي تقدمه الدولة في هذا المجال، مع الأخذ بعين الاعتبار التحديات والصعوبات التي قد تعرقل نجاح هذه البرامج، وأهمها ظاهرة التصحر التي تهدد حوالي 32 مليون هكتار من الأراضي ذات الغطاء النباتي في الشمال.

ومن المهم أن نلاحظ أن ضمان فعالية هذه البرامج والخطط الزراعية يتطلب تشجيع مشاركة المزارعين المحليين في مختلف المناطق، بالإضافة إلى توفير الموارد المادية والبشرية اللازمة لتحقيق ذلك، وأخذ الخصوصيات المحلية بعين الاعتبار لبعض الأقاليم والولايات. (محمدمسعودي، صفحة 168)

ب- تحفيز السياحة البيئية المستدامة:

ليس خافيًا على أحد الدور الهام الذي تلعبه السياحة في الوقت الحالي من الناحية الاقتصادية، فهي تُعتبر في بعض البلدان المصدر الأساسي للدخل القومي. تساهم السياحة في تنشيط مجموعة من القطاعات الداعمة مثل النقل، والخدمات، والاتصالات، والصناعات التقليدية، مما يؤدي إلى خلق المزيد من فرص العمل للسكان ويعزز من النمو الاقتصادي، بالإضافة إلى دعم التنمية في المناطق الريفية والصحراوية.

ترتبط السياحة ارتباطًا وثيقًا بالتنمية الإقليمية، حيث تعود بالفائدة على المجتمعات المحلية في مناطق الجذب السياحي من خلال تنشيط وتعزيز المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وزيادة دخل الأفراد، مما يسهم في تحسين مستوى دخل المجتمع وتطوير البنى التحتية والخدمات والمرافق الأخرى.

لا شك أن السياحة في المناطق الصحراوية الجزائرية تمتلك العديد من المقومات التي يجب استغلالها بشكل مثالي، مع أهمية مراعاة الالتزامات والمعايير البيئية لتحقيق سياحة بيئية مستدامة.

تحمل السياحة البيئية المستدامة فوائد عديدة على التنمية الإقليمية للمناطق الصحراوية الجزائرية، حيث تعزز من مشاركة المجتمعات المحلية – وخاصة الفئات الفقيرة – في خلق القيمة المضافة السياحية، مما يسهم في تحسين الاقتصاد المحلي والحد من الفقر. كما أن الاستثمار في السياحة المستدامة يُساعد في تقليل استهلاك المياه والطاقة والنفايات، ويعزز من قيمة التنوع البيولوجي والنظم البيئية. وقد أدت الاستثمارات الخضراء في مجال

السياحة في بعض البلدان إلى تقليل استهلاك المياه بنسبة 18%، واستخدام الطاقة بنسبة 44%،وانبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون بنسبة 52%.

ت- تشجيع الاستثمارات الخضراء:

يتعين على السلطات الجزائرية تقديم كافة أشكال الدعم والتشجيع للقطاع الخاص في مجال الاستثمارات البيئية، التي تهدف إلى الحفاظ على البيئة وتقليص التلوث في مختلف المناطق، بما في ذلك المناطق الصحراوية. حيث تساهم هذه الاستثمارات في تنشيط الحركة التنموية على المستوى المحلي وتوفير العديد من فرص العمل، مما يسهم في خفض معدلات البطالة، بالإضافة إلى أهمية حماية البيئة والتقليل من الملوثات والنفايات.

وقد تناولت بعض القوانين الجزائرية ضرورة تقديم تحفيزات للمؤسسات والمشاريع التي تأخذ بعين الاعتبار المسؤوليات البيئية وتساهم في تقليل التلوث، مثل قانون حماية البيئة ضمن إطار التنمية المستدامة، والذي في مادته 75 يدعو إلى أنه: "تستفيد المؤسسات الصناعية التي تستورد تجهيزات تسهم في تقليل ظاهرة الاحتباس الحراري والتقليل من أشكال التلوث المختلفة، من حوافز مالية وجمركية يتم تحديدها بموجب قانون المالية".

كما تشير المادة 77 من نفس القانون إلى: "يستفيد كل شخص طبيعي أو معنوي يقوم بأنشطة لتحسين البيئة من تخفيض في الربح الخاضع للضريبة، ويحدد هذا التخفيض بواسطة قانون المالية".

بشكل عام، يمكن التغلب على محدودية الحوافز الاستثمارية المقدمة في القطاع البيئي من قبل وكالات دعم الاستثمار والتشغيل عبر منح حوافز ضريبية ومالية أكثر فاعلية. ويجب أن يكون ذلك بالتنسيق مع وزارة المالية والصندوق الوطني للبيئة وإزالة التلوث، لضمان توفير كافة الظروف الملائمة لإنجاح الأنشطة والمشاريع المرتبطة بالحد من التلوث وحماية البيئة. (محمدمسعودي، صفحة 174) .

5-التنمية الزراعية المستدامة:

تُعتبر التنمية الزراعية المستدامة مجموعة من السياسات والإجراءات التي تهدف إلى تغيير الهيكل الأساسي للقطاع الزراعي. يتيح ذلك الاستخدام الأمثل للموارد الزراعية المتاحة، ويساهم في زيادة الإنتاجية والإنتاج الزراعي، مما يعني تعزيز معدلات نمو الدخل الوطني وتحسين مستويات المعيشة للأفراد في المجتمع.

يمكن أيضاً تعريف التنمية المستدامة على أنها تلبية احتياجات الأجيال الحالية دون التأثير على قدرة الأجيال القادمة، أو باعتبارها أساليب زراعية تراعي البيئة، وتسمح بإنتاج مجموعة متنوعة من المحاصيل، سواء كانت نباتية أو حيوانية، دون التسبب في أضرار بيئية. كما تقدم منظمة الأغذية والزراعة تعريفاً يركز على إدارة وصيانة الموارد الطبيعية وتوجيه التغيرات التكنولوجية والمؤسسية بهدف ضمان تلبية الاحتياجات الإنسانية الحالية والمستقبلية بشكل مستدام. تساهم هذه التنمية المستمرة في مجالات الزراعة، والصيد البحري، والغابات، وتحافظ على التربة والمياه والتنوع البيولوجي للنباتات والحيوانات دون التسبب في تدهور البيئة. (محمدبويهي، 2012، صفحة 202)

-خاتمة:

تظهر نتائج هذه الدراسة أن العمليات التنموية المحلية قد حققت أهدافها الاقتصادية المتمثلة في تطوير وتحسين الإنتاج، حيث استطاعت العديد من الأسر الانتقال من الزراعة التقليدية البسيطة إلى الزراعة التصديرية التي تشمل مختلف الولايات، وقد تنوعت المنتجات الزراعية حيث تخصص بعضها في محاصيل مثل الحبوب والطماطم. في الوقت نفسه، شهدت المنطقة تراجعاً واختفاء التقنيات التقليدية للري وتدهور الفقارة التي تميز منطقة توات عن غيرها.

أسفرت الاستراتيجيات الجديدة عن تنوع المحاصيل الزراعية وتحسينها، مما حول الزراعة من نموذج عائلي إلى نموذج إنتاجي تسويقي. إلا أن معظم العائلات لم تتمكن من مواكبة هذا التحول، حيث ظلت تعتمد على أساليب زراعية بسيطة لا تسهم في الإنتاج المحلي ولا تفتح أسواقاً محلية جديدة.

تركز السياسة الزراعية في الإقليم بشكل أساسي على الإنتاج مع تجاهل الجوانب الأخرى مثل الثقافية والبيئية والاجتماعية، مما يدل على غياب التخطيط الاستراتيجي العام. ولم تعِر الدولة أي اهتمام لإعادة إحياء النظام الزراعي القديم، رغم اعتباره تراثاً مصنفاً كنظام مستدام للأجيال الحالية والمستقبلية.

إن نجاح أي سياسة تنموية يعتمد على رغبة حقيقية من الدولة في تبني الحكم الرشيد ومبادئه بما يتناسب مع خصوصيات منطقة إقليم توات.

قائمة المراجع:

1-أحمد أبا الصافي جعفري. (2011). من تاريخ توات : أبحاث في التراث، ج2. الجزائر: مقامات للنشر والتوزيع.

2-أسماء ابلالي،(2012 – 2013م) الأسهامات الاجتماعية والثقافية للشيخ محمد باي بلعالم بإقليم توات (1348هـ – 1430هـ / 1930م – 2009م)، ماجستير، الجامعة الإفريقية أحمد دراية أدرار

3-ثياقة الصديق، المقدس والقبيلة،(2013-2014) الممارسة الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري، أطروحة دكتوراه،، جامعة وهران.

4-عبد الرحمان الجيلالي،(1994،) تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، الجزائر.

5- .هرباش راجية. (2011-2012). الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط مغنية في القرنين 12 و13 الهجريين 18 و19 الميلاديين. جامعة وهران.

6 - يائيل كوزمين، عابد جليد، صورية مولوجي فروجي، الصحراء والتنمية المحلية، مجلة إنسانيات

7- عمر بالهادي، (12 ماي2012)المجال والتنمية، مقال، المركز الوطني لتكوين المكونين قرطاج .

8-عرباوي كوثر، (2014-2015).تأثير النخيل على الجزيرة الحرارية العمرانية حالة الدراسة قصر ورقلة، مذكرة ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة محمد خيضر بسكرة.

9- مبارك شريف خليل، شكاكطة عبد الكريم،(2020) التنمية المحلية في الجنوب الجزائري بين الحتمية والخيارات- ولاية ورقلة نموذجا، مجلة السياسة والقانون، المجلد 12، العدد01

10- محمد حوتية. (2007م)توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر

11-محمد عبد الكريم، (2016).الشبكة العمرانية لإقليم توات بولاية ادرار، آليات التنظيم والأداء المجالي،ماجستير، جامعة وهران2.

12- محمد بن يبا، بلقاسم ميموني، عبود ميلود، (جوان 2012) الفلاحة الصحراوية بوابة التنمية الزراعية المستدامة في الجزائر" ولاية أدرار نموذجا، مجلة أرصاد للدراسات الاقتصادية والإدارية، العدد1.

13- محمد بويهي،(2012) استراتيجية التنمية الاقتصادية الزراعية والتنمية المستدامة، مجلة علوم الإقتصادوالتسير والتجارة، العدد 26

14- مسعودي محمد، آليات دعم التنمية المستدامة بالمناطق الصحراوية الجزائرية، مجلة

15- مقدم مبروك. (2008). التنظيم الواحي للمجتمع القصوري التواتي خلال القرنين 18 و19 ميلادي، ج2. الجزائر: دار هومة.

16- مرزاية بلامة عائشة،(2006) دراسة وصفية حول الإرث الثقافي والسياحي بمنطقة أدرار الجزائر، المعهد الوطني للأبحاث الزراعية.

17- مخلوف أحمد، مرزوقي عمر،(جوان 2018،) التنمية المحلية، مفاهيم، استراتيجيات وتجارب دولية، مجلة البحوث القانونية والسياسية، العدد العاشر

18- وزارة الفلاحية والتنمية الريفية، 2018، تقرير حول الفلاحة الصحراوية في الجزائر، الجزائر.

19- وثائق محافظة تنمية الفلاحة في المناطق الصحراوية.